الفصل السادس

المرحلة الآشورية

سبق أن أشرنا إلى الاضطراب الشديد الذى ينجم عن قول بعض المؤرخين الباحثين فى علوم بلاد ما بين النهرين بأن هذه العلوم وحدة مستقلة سابقة على العلوم اليونانية. ذلك أن الموضوع أعقد كثيراً من ذلك. وينبغى للباحث أن يتعرف على الأقل ثلاث « مجموعات» لا وحدات، وهى: أولا : العلم البابلى الذى شرحناه فى إيجاز فى الفصل الثالث . ثانيًا : العلم الآشورى الذى نفرد له هذا الفصل . ثالثًا : العلم « الكلدانى » الذى تطور خلال العصور الهلينستية والسلوقية .

ومن المعروف أن العلم « البابلى » نما قبل الألف الأول قبل الميلاد ، فهو سابق على العصور اليونانية « التاريخية » . أى أنه سابق لعصر هوميروس وهسيودوس ، ولعصر الفلاسفة الأيونيين كذلك . أما العلم « الآشورى » فينتمى خاصة إلى القرن السابع قبل الميلاد » . وهو معاصر لفجر العلم اليونانى مع سبقه عليه قليلا . ومع ملاحظة أن العلم اليونانى نشأ وظل مستقلا عن العلم الآشورى .

وأما العلم « الكلدانى » فمن المعروف أنه متأخر عن العلم اليونانى . ولكنه أثر فى العلم الهلينستى المتأخر ، أى العلم « الرومانى » ، وكذلك فى علوم العصور الوسطى .

وتفصل بين هذه المجموعات الثلاث مرحلتان زمنيتان امتدت كل منهما عدة قرون ، ومع أن كل واحدة من هذه المجموعات أثر فى المجموعة التى تلتها ، فإن هذه المجموعات الثلاث تختلف كل منها عن الأخرى بقدر ما توحى به

المسافات الزمنية بينهما . ويبلغ الخلط بينها من الخطأ ما يبلغه القول بأن بيده Bede ، وفرنسيس بيكون وروجرز بيكون ونيوتون ووثرفورد ينتمون إلى مجموعة واحدة .

وسبق أن تحدثنا فى عرضنا للعلم البابلى (الفصل الثالث) عن ثلاثة ملوك هم : شاروكين أو (سرجون) مؤسس الأسرة الأكادية (حكم من ٢٦٣٧ — ٢٥٨٢ ق . م .) وملكان اثنان من الأسرة العمورية ، وهما : المشرع الكبير حمورابى (١٩٥٥ — ١٩١٣) وهو سادس هذه الأسرة [١] والملك أمسادوجا (١٩٢١ — ١٩٠١) وهو عاشر ملوك هذه الأسرة . وأريد أن أذكر هذه الأسماء هنا لتنبيه ذاكرة القارئ ولتوضيح المسافة الزمنية الهائلة بين العلم البابلى والعلم الآشورى . والحضارة الآشورية نابعة من بلاد ما بين النهرين ، ولكن على حين تركزت الحضارتان السومرية والبابلية فى حوض الفرات الأسفل ، نشأت الحضارة الآشورية فى حوض دجلة الأعلى ، وهى تدين لا إلى نماذج سومرية وبابلية فحسب ، بل إلى مؤثرات حيثية وحورية ، ومع ذلك فهى كثيراً ما كانت دون هذه النماذج والمؤثرات . ونذكر على سبيل المثال أن القوانين الآشورية التى وصلت إلينا أقل مستوى ولا ريب من قانون حمورابى [٢] . ولا حاجة بنا هنا أن نذكر مطلع التاريخ الآشورى ، ويكفى أن نقول إن مدينة آشور [٣] ازدهرت منذ حوالى سنة ٢٦٠٠ ق . م . وأن أول حاكم للإمبراطورية الآشورية هو آشور ناصربال الثانى (٨٨٤ — ٨٥٩) الذى مد سلطانه إلى البحر المتوسط وأرغم المدن الساحلية الفينيقية على دفع الجزية له . واتخذ هذا الملك عاصمة له مدينة نمرود « كلخ » (وهى كلح فى كتاب العهد القديم) ، وموقعها جنوبى الموصل .

ويحسن أن نذكر بضعة من الحكام الآخرين الذين يعرفهم القارئ من اطلاعاته فى التاريخ اليونانى أو كتاب العهد القديم .

شامو — رامات (٨١٠ — ٨٠٦ ق . م .) وهى أرملة ملك وأم ملك آخر .

وهى مشهورة بالاسم اليونانى سميراميس . والواقع أن اليابيين جعلوا سميراميس بمثابة إلهة ، وتعد هى ونينوس المؤسستين الأسطوريتين للإمبراطورية الآشورية (إمبراطورية نينوس أو نينوى) . وينسب كثير من الأعمال الجليلة إلى سميراميس[٤] شاروكين الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق . م .) وهو سرجون الثانى[٥] الذى استولى على السامرة وقرقميش وغزا أورارتو . وأعاد السيطرة الآشورية على بابل وبنى عاصمة جديدة قرب نينوى ، وهى دور شاروكين (خورساباد) .

سن - آحى - إربا (٧٠٥ - ٦٨١ ق . م .) وهو ابن الملك السابق وخليفته واسمه فى كتاب العهد القديم سنحريب . وهو الذى غزا فلسطين ، ولكنه لم ينجح فى الاستيلاء على بيت المقدس ، ودمر بابل سنة ٦٨٩ ق . م .

آشوربانيبال (٦٦٨ - ٦٢٥ ق . م .) واسمه فى اللغة اليونانية سرد نابولوس وهو الذى سيطر على جزء كبير من الشرق الأدنى ما عدا مصر ، وكان هذا الرجل نقلا عن أقوال أعدائه ملكًا فاسد الخلق شديد القسوة ولكن ينبغى أن نذكر - إنصافًا له - أنه كان حاميا للفنون والآداب ، والعلم الآشورى مدين بصيانته إلى جهوده الكثيرة . واتخذ آشوربانيبال عاصمته مدينة نينوى (قويونجك تجاه الموصل) . وهو آخر حاكم فى الإمبراطورية الآشورية ، وإليه يرجع الفضل فى تخليد ذكراها أكثر من أى ملك آخر . ذلك أن جرائمه لم تخلف أثراً ، ولكن مكتبته البابلية سوف تبقى خالدة على الزمن ، وهو لذلك سبب قولنا إن المعرفة الآشورية وليدة نهاية القرن السابق ق . م . ، مع ما فى التقدير الزمنى من الخطأ .

وإنى أعتقد أنه لم يكن عبثًا أن نربط - فى ذاكرتنا - بين التقاليد اليونانية وتقاليد الكتاب المقدس من جهة - وبين تلك التى ينبغى لمؤرخ العلم أن يكشف عنها ، ولو فى شىء من الاختصار والتلخيص . فالفن الآشورى مثلا صار معروفًا حوالى منتصف القرن الماضى ، ففى سنة ١٨٠٧ كان كلوديوس جيمس ريتش قنصل بريطانيا فى بغداد أول من أشار إلى نحت غائر من العصر الآشورى ، وهو

كذلك صاحب الفضل فى الإشارة إلى الإمكانيات الأثرية فى قويونجلك . لكن حفائر خورساباد لم تبدأ إلا سنة ١٨٤٣ على يد بول إميل بوتا . ثم تلاه أوستن هنرى لايارد وهرمزد رسام وآخرون . وتوجد نتائج الحفائر الفرنسية فى متحف اللوفر . كما توجد الكنوز التى كشف عنها علماء الآثار الإنجليز فى المتحف البريطانى ، وكل ذلك يكشف عن فن جديد يستطيع المقارنة بأحسن نماذج الفن المصرى والفن اليونانى ، فضلا عن الفن الفارسى القديم الذى حافظ — إلى حد ما — على التقاليد الآشورية . ويستطيع مؤرخ الفن أن يشرح ويناقش نماذج الفن الآشورى فى شىء من الإفاضة ، ولكن المجال لا يتسع لذلك فى كتاب فى تاريخ العلم ، برغم ما فى هذا الشرح والمناقشة من مساعدة لنا على تصور الأساس الفنى الهائل للحضارة الآشورية . وأغلب النحت الغائر فى الفن الآشورى مصنوع فى نوع من الحجر الجيرى الناعم ملون بألوان من الأسود والأبيض والأزرق والأحمر والأخضر . وهذه النماذج تهم الباحث فى الآثار كما تهم الفنان ، لأنها تنطق بمعلومات كثيرة فى العادات والفنون والحرف والأفكار الدينية والعلمية بين الآشوريين [٦] .

وأكثر ما يجتذب مؤرخ العلم من هذه الآثار مناظر أسطورية من عهد الملك آشور ناصربال (٨٨٤ — ٨٥٩ ق . م .) ، وفسر الباحثون هذه المناظر بأنها تمثل التلقيح الصناعى للنخيل . وتوجد نماذج كثيرة من هذا النحت الغائر فى المتحف البريطانى ومتحف اللوفر وفى المتاحف الأخرى . ومن المحتمل أن التلقيح الصناعى استخدم فى عصر قبل ذلك بكثير ، بل ربما فى عصور ما قبل التاريخ ، ثم انتشر هذا النوع من التلقيح فى عهد الملك آشور ناصربال حتى لم يعد جزءاً جوهريًا من العلم بل صار أسطوريًا . وإذا كان تأويلنا ذلك صحيحًا ، فليس معناه بطبيعة الحال أن الآشوريين عرفوا تناكح النبات ، بل أقول إنهم لم يعرفوه . مع أن استخدامهم للتلقيح الصناعى يرجح كأنهم عرفوه ، وفى ذلك مثل واضح على معرفة تطبيقية سبقت معرفة علمية بأكثر من خمسة وعشرين قرنًا ، ولعل

الثانية جاءت من الأولى[٧] . ويساعد على توضيح ذلك كله أنه على الرغم من وقوع العاصمة الآشورية فى منطقة الموصل فى أعلى دجلة حيث لا تصلح زراعة النخيل فإن الإمبراطورية الآشورية امتدت تقريباً إلى الخليج الفارسى ، وورث الآشوريين جميع ألوان المعرفة السومرية .

وكشفت الحفائر فى نمرود عن كثير من الآثار الأخرى من عهد الملك آشور ناصربال ، مثل أسود ضخمة مجنحة ذوات رؤوس بشرية ، وقردة منحوتة نحتاً غائراً ، وتمثالين للملك نفسه . أحدهما يوجد الآن فى متحف اللوفر ، والآخر فى المتحف البريطانى .

ويمكن تتبع تطور الفن الآشورى ابتداء من القرن التاسع حتى نهاية القرن السابع قبل الميلاد ، وهى مرحلة زمنية تمتد إلى ثلاثة قرون تقريباً وذلك بفضل الكشف عن آثار تنسب إلى ملوك آخرين بعد آشور ناصربال . وهم : شلما نصر الثالث (٨٥٩ — ٨٢٤ ق . م .) وله المسلة السوداء والأشرطة البرونزية التى زينت أبواب قصره ، ثم تجلات بليزر الثالث (٧٤٥ — ٧٢٧ ق . م .) ، وسرجون الثانى (٧٢٢ — ٧٠٥ ق . م .) وله الثيران الضخمة المجنحة ذوات الرؤوس البشرية وهى التى عثر عليها فى قصره فى خراساباد ، ثم سنحريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق . م .) وأخيراً آشور بانيبال (٦٦٨ — ٦٢٥ ق . م .) وهو الذى ينبغى أن نتحدث عنه أكثر من ذلك .

ولنبدأ بالكلام عن الفن ، إذ ترجع أهم الآثار الآشورية فى النحت الغائر إلى عهده ، وهى الآثار التى كشفت عنها حفائر أنقاض نينوى (قويونجلك) . وتصور هذه النحوت الغائرة التى تعد إحدى مفاخر المتحف البريطانى مناظر الصيد ومناظر الحيوانات ، وتدل على أن قصر الملك اشتمل على حديقة للحيوانات كما تدل النحوت نفسها على معرفة ما بتشريح الحيوان . ويظهر ذلك من المنظر الخاص بالأسود وهى معرفة لا يمكن إدراكها فى ساعات الصيد . ومن المحتمل

أن هذه الحيوانات المفترسة حبست فى أقفاص ثم أخرجت منها لحفلات رياضية للملك وحاشيته . ذلك أن هذه النماذج البديعة من النحت الغائر تدل على أن الفنانين شهدوا أسوداً وحيوانات مفترسة أخرى وهى فى اختيال قوتها . وكذلك حين تكون جريحة ، أو حين تقئ الدم فى خياشيمها ، أو عند موتها . وأحد هذه المناظر يعطينا منظراً خالداً للبؤة جريحة فى مؤخر ظهرها وهى تمشى تجر رجليها الخلفيتين من أثر الإصابة . وظلت هذه الآثار الفنية فريدة فى تاريخ الفن حتى عصر النهضة الأوربية والعصور الحديثة أيضاً .

ومناظر الصيد كافية لأن تخلد اسم آشور بانيبال . وأن تخلد أيضاً ذكرى الفنانين غير المعروفين الذين استخدمهم فى صنعها . على أنه جدير بألقاب أخرى من تمجيد العلماء وتقديرهم له . ذلك أنه فضلا عن هذه النحوت الغائرة ، حفظت أنقاض قويونجك قدراً كبيراً من الألواح الطينية التى تكونت منها مكتبة الملك ، ومن حسن الحظ أن هذه المكتبة اكتشفت — على حالتها الأولى — فى مطلع البحوث والحفائر الآشورية [٨] .

ومن المحتمل أن سبقت هذه المكتبة مكتبات ملكية أخرى فى آشور [٩] غير أن مكتبة آشور بانيبال هى المكتبة الوحيدة التى نعرفها . ولذا ينبغى أن تنسب إلى عصره جميع المعارف التى وصلت إلينا من هذه المكتبة . وليس معنى هذا أن هذه معارف جديدة استنبطها معاصروه ، بل إن ما فيها من جديد لا يعدو معرفة ببعض المعانى اللغوية . فحينما يكتشف أحد الباحثين فى بردية أو فى مخطوط قديم نصاً غير معروف لأرسطو أو لأرشميدس . فإن هذا العمل فيه جدة كبيرة ، بالرغم من أن هذا النص ذاته قديم جداً . بعبارة أخرى إن الكشف فى هذه الحال يكون مثيراً ، ولكن الشىء المكتشف يكون قديماً . وكذلك تكون المعرفة التى تجىء فجأة مع ذلك الكشف .

هذا هو الموقف بالألواح التى اكتشفت فى قويونجك . إذ تدل هذه الألواح على أن الآشوريين فى القرن السابع ق . م . — إن لم يكونوا قبل ذلك عرفوا

القيمة العلمية للنصوص المكتوبة باللغة السومرية . وأنهم بذلوا جهوداً كبيرة فى سبيل جمع هذه الألواح السومرية . وفى سبيل فهم اللغة السومرية وتعليمها ونشر نصوصها وترجمتها إلى اللغة الآشورية . مع إضافة الشروح الضرورية ، وعمل الآشوريون فى النصوص السومرية ما عمله البوذيون الصينيون فى النصوص السنسكريتية والتبتية ، وما عمله اليابانيون فى النصوص الصينية وما عمله الهلينستيون فى الآداب اليونانية القديمة . ولذا فالتعبير الصحيح هنا أن نقول إن الهلنستيين فى عهد النهضة الأوربية هم الذين كشفوا عن الآداب اليونانية القديمة . وأن قليلا جداً من الباحثين الحاليين يستطيع أن يعمل ذلك فى العصر الحاضر . بل إن معظمهم لا يستطيع إلا أن يقنع بإعادة النصوص المشهورة للمرة المائة فى تاريخ نشرها .

واحتوت مكتبة آشور بانيبال على كتب فى قواعد اللغة ومعاجم لغوية وسجلات تاريخية ونصوص سومرية بين سطورها ترجمات أشورية ، وكثيراً من هذه النصوص علمى : فلكى وتنجيمى وكيموى وطبى وهكذا . مما يدل على حرص هذا الملك على أن ينمى مكتبته ، إذ جاء فى رسالة يبدو أنه كتبها بنفسه ما يأتى :

« كتاب من الملك شادونو : إننى بخير وأتمنى لك السعادة وحينما يصلك هذا الكتاب خذ معك هؤلاء الثلاثة رجال (أسماؤهم واردة فى النص) . وكذلك علماء مدينة بورسيا واستخرج كل الألواح الموجودة فى بيوتهم وكذلك جميع الألواح الموجودة فى معبد إزدا . . . » ثم قفى الملك هذا الطلب بذكر المؤلفات الهامة التى يرغب فى اقتنائها ، واختتم رسالته قائلا :

« ابحثوا عن الألواح القيمة التى فى سجلاتكم . والتى لا توجد فى آشور . وابعثوا بها إلى ، ولقد كتبت إلى الموظفين والمشرفين . . . ولن يحجز أحد منهم عنك لوحاً واحداً ، وإذا وجدت لوحاً أو نصاً دينياً لم أكتب إليك بشأنه ، وأحسست أنت أن وجوده مفيد فى قصرى . فاستخرجه وخذه وأرسل به إلى [١٠] » .

وتدل كثرة الألواح فى هذه المكتبة على أن الملك آشور بانيبال استخدم

طائفة كبيرة من العلماء والكتاب لتنظيمها وكتابتها ، والواقع أن مدينة نينوى غدت فى السنوات الخمسين الأخيرة من وجودها السياسى مركزاً لمدرسة من المترجمين واللغويين يصح أن تسمى الأكاديمية السومرية . وبفضل النصوص الكثيرة المزدوجة اللغة من هذه المكتبة التى وصلت إلينا صار فى استطاعة علماء الدراسات الآشورية أن يدرسوا ويتمكنوا من اللغة السومرية . وعلماء الدراسات السومرية فى العصر الحاضر هى تلامذة علماء اللغة الآشورية الذين عاشوا فى القرن السابع قبل الميلاد .

وتوفر على نشر عدد كبير من الألواح العلمية من هذه المكتبة بعض العلماء المحدثين وترجموا بعضاً من هذه الألواح إلى اللغات الأوربية . والقائمة التالية من سبيل المثال لا الحصر .

ففى السحر كتب ليوناردو . كنج كتاب « السحر البابلى والعرافة . وهى صلوات رفع اليد » .

Leonard W. King, Babylonian magic and sorcery, being the prayers of the lfiting of the hand,

ويقع فى ٢٣٠ صفحة وبه ٧٦ لوحة . وقد طبع فى لندن سنة ١٨٩٦ . وهو كتاب يبعد كل البعد عن العلم ولكنا نذكره هنا لأنه يصور الأساس الخرافى .

وفى الطب كتب رجينالد كمبل تومبسون كتاب « النصوص الطبية الآشورية من الأصول الموجودة فى المتحف البريطانى » ويقع فى ١١٤ صفحة من القطع الكبير . وطبع فى أكسفورد سنة ١٩٢٣ .

Reginald Campbell Thompson, Assyrian medical texts from the originals in the British Museum (114 pp., folio; Oxford, 1923) (Isis 7, 1925).

ويوجد فى هذا الكتاب تذاكر طبية آشورية لأمراض القدمين فى (مجلة الجمعية الآسيوية الملكية سنة ١٩٣٧ من ص ٢٦٥ – ص ٢٨٦) .

(J. Roy. Asiatic Soc. (1937), 265-286 (Isis 28, 226 (1938)).

وفى النبات كتب ر . س . تومبسون عن « الأعشاب الآشورية ، بحث عن الأدوية التى يمكن استخلاصها من الخضروات الآشورية » . ويقع فى ٣٢٢ صفحة وطبع فى لندن سنة ١٢٤ .

R.C. Thompson, The Assyrian herbal, a monograph on the Assyrian vegetable drugs (322 pp.; London, 1924) (Isis 8, 506-508 (1926)).

ووصف المؤلف فى هذا الكتاب ما يقرب من ٢٥٠ نباتاً . وعرض للأفكار الآشورية حول موضوع تلقيح النبات . وللمؤلف كتاب آخر هو « معجم علم النبات الآشورى » . ويقع فى ٤٢٠ صفحة ، وطبع فى لندن (الأكاديمية البريطانية) سنة ١٩٤٩ :

Dictionary of Assyrian botany (420 pp.; London : British Academy, 1949) (Isis 43).

وفى الكيميا والجيولوجيا كتب ر . س . تومبسون « معجم الكيميا والجيولوجيا عند الآشوريين » ويقع فى ٣١٤ صفحة وطبع فى أكسفورد فى مطبعة كلارندون سنة ١٩٣٦ .

R.C. Thompson Dictionary of Assyrian chemistry and geology, (314 pp.; Oxford : Clarendon Press, 1936) (Isis 26, 477-480 (1936).

وليست هذه القائمة القصيرة سوى بداية لمساعدة المبتدئ فى دراسة تاريخ العلم ، ولن نستطيع أن نناقش هنا تفصيلات المعرفة السومرية — الآشورية ، لأن ذلك يبعد بنا عن التيار الرئيسى لتاريخ العلم القديم . ولأن العلم الآشورى لا يتبع هذا التيار بل إنه بعيد عنه .

ولا شك أن إنتاج تومبسون كبير القيمة من الناحية التحليلية لعلماء الدراسات الآشورية ، ولكنه قليل القيمة لمؤرخى العلم . ذلك أنه ليس من المستطاع حتى الآن أن نحدد إذا كان العلم الآشورى من أصل سومرى فقط ، أو إذا كان العلماء الأشوريون أضافوا شيئاً جديداً إلى العلم القديم الذى حافظوا عليه وشرحوه .

وإذ سميت هذا الفصل باسم intermezzo « المرحلة الآشورية فى تاريخ العلم » – فذلك لأن تلك المعرفة سواء أكانت سومرية خالصة أم سومرية مصطبغة بالصبغة الآشورية ، فهى لم تؤثر فى العلم الهلينى ، لأنه مع التسليم بجدية التأثيرات الشرقية التى خضعت لها الحضارة الهلينية ، فإن هذه التأثيرات اقتصرت على النواحى العامة ، أى النواحى الدينية والفلسفية وغير الفنية . ومع التسليم بإمكان انتقال المعرفة الفلكية ، فليس ثمة شىء علمى آخر يمكن القول بانتقاله من الشرق إلى اليونان ، لأنه ليس ثمة دليل على أن مؤلفًا[١١] يونانيًا واحداً عرف قراءة الخط المسمارى .

وعلى الرغم من أن « العلم الكلدانى » خارج عن نطاق هذا الفصل ، فلا بأس من إضافة بضعة أسطر بشأنه لإرشاد القارئ ، وأول ذلك أن الأسرة الكلدانية هى آخر أسرة ملكية بابلية ، وامتد حكم ملوكها الستة ٨٧ عامًا من سنة ٦٢٥ إلى ٥٣٨ ق . م . ومؤسس هذه الأسرة هو نبوبولصر (٦٢٥ – ٦٠٥) وخليفة سياخار (سياكزارس) ملك ميديا ، هما اللذان هدما مدينة نينوى والإمبراطورية الآشورية سنة ٦١٢ ق . م . واقتسما أراضيها فيما بينهما . ومنذئذ توارث الكلدانيون من ناحية والميديون والفرس من ناحية أخرى تقاليد آشور . ومثال ذلك أن الفن الأخمينى يشف عن تأثيرات آشورية قوية . ثم استولى بختنصر (نبوخذ نصر[١٢] ٦٠٥ – ٥٦١) وهو الملك الكلدانى الثانى على إقليم يهوذا وحطم مدينة بيت المقدس سنة ٥٨٦ ق . م . وبنى مدينة بابل التى ملأت إعجاب المؤرخين اليونانيين . وفى سنة ٥٣٨ استولى جوبرياس قائد الملك قورش العظيم على مدينة بابل ، وظلت هذه المدينة قرنين من الزمان من (٥٣٦ – ٣٣٢) تحت الحكم الفارسى . وفى الحكم الفارسى عاش العلماء الرياضيون والفلكيون البابليون الأولون الذين عرفهم اليونانيون بأسمائهم ومنهم نبوريمانى (بن بالاتو) الذى ذاع اسمه فى بابل سنة ٤٩١ ق. م . وكذلك كيدينو الذى ظهر بعد ذلك بقرن ، حوالى سنة ٣٧٩ . ثم فتح الإسكندر بلاد بابل الفارسية سنة ٣٣٢ ،

واستمرت هذه البلاد تحت حكمه حتى وفاته فى مدينة بابل نفسها سنة ٣٢٣ ق . م . ثم حكم بعد ذلك طائفة من خلفاء الإسكندر من الأسرة السلوقية (٣١٢ – ١٧١ ق . م .) [١٤] .

ويوجد بعض الخلط فى المقصود بالعلم الكلدانى . إذ تستطيع تلك التسمية أن تدل على أخبار علمية وقعت أثناء الأسرة الكلدانية . ومثال ذلك الأرصاد الفلكية زمن الملك بختنصر (نبوخذ نصر) [١٥] . وعلى العموم يطلق بعض الباحثين لفظ كلدانى أو بابلى (أو بابلى جديد) إطلاقًا مبهما مضطربًا للدلالة على أخبار علمية وقعت فى عصور سلوقية متأخرة . وهذه عصور خارجة عن ميدان هذا الكتاب[١٦] . والواقع أن كثيراً من النتائج الباهرة فى علوم الفلك والرياضيات « البابلية » هى فى الحقيقة سلوقية هلينستية . وحينما يذكر مؤرخو العلم شيئًا عن الاكتشافات البابلية (وكثير منهم غير عارف بتعقيدات التواريخ القديمة) ينبغى لهم أن يتأكدوا من أزمنة هذه الاكتشافات على وجه التقريب قبل مناقشة خصائصها والمؤثرات التى تأثرت بها أو صدرت عنها ، لأن من البديهى أن أهمية اكتشاف علمى حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . تختلف اختلافًا واضحًا عن اكتشاف آخر تم حوالى سنة ٢٠٠ ق. م .

التعليقات

(١) بالرجوع إلى أحدث العمليات الحسابية نجد أن تاريخ حمورابى من ١٧٢٨ – ١٦٨٦ ، وعلى هذا يجب تغيير التواريخ الأخرى على هذا الأساس . والملاحظة الرئيسية هنا أن كل أولئك الملوك البابليين يسبقون الزمن التاريخى فى اليونان .

(٢) لمقارنة القوانين الآشورية بالقوانين السابقة عليها وللاطلاع على مراجع فى هذا الموضوع، انظر : James B. Pritchard, Ancient Near Eastern texts (Princeton University Press, 1950) pp. 159-223 (Isis 42, 75 (1951)) .

(٣) أشور (أو آشور). تقع أعالى الدجلة، وجنوب الموصل . وتأتى كلمة آشور فى كثير من أسماء الملوك الآشوريين وكلمة آشورى ذاتها مشتقة من اسم هذه المدينة . والمصطلح "Assyriologist" يستخدم الآن لا على أن يوصف به المشتغلون بالآثار الآشورية فحسب ، ولكن يوصف به كذلك المشتغلون بآثار ما بين النهرين عامة . ويرجع هذا إلى أن الآثار والوثائق الآشورية اكتشفت وفحصت قبل غيرها .

(٤) من الطبيعى أن يوجد نوع من الخلط بين المرأة الحقيقية والمرأة الأسطورية، فإن ما يحدث عادة هو أن تتجمع الأساطير وتتراكم حول الشخص الأسطورى . على أن الاسم جرى مجرى الأمثال، فإن مرجريت الدنماركية (١٣٥٣–١٤١٢)، التى حكمت الدول السكندناوية الثلاث كانت تسمى سميراميس الشمال كما أطلق هذا اللقب أيضاً على كاترين الثانية ملكة روسيا (١٧٢٩ – ١٧٩٦) .

(٥) هذا هو سرجون المذكور فى الكتاب المقدس ، ويسمى سرجون الثانى ، وفى هذا إشارة إلى ملك آشورى آخر يسبقه يسمى شاروكين الأول (٢٠٠٠ – ١٩٨٢) . وهو غير شاروكين ملك أكاد (٦٢٣٧ – ٢٥٨٢) .

(٦) للاطلاع العام ، انظر تواريخ الفنون القديمة .

Cyril John Gadd, The Assyrian Sculptures (78 pp., 18 pls., London

Georges Contenau (Les Antiquités Orientales au Musée du Louvre) Paris, 1929). pls. 5-20

(٧) تناول تناسليات الباتات المزهرة بالشرح لأول مرة رودلف ياكوب ، يعقوب كمراريوس عام ١٦٩٤ . ولتفسير المنحوتات الآشورية ، انظر :

G. Sarton, «The artificial fertilization of date palms in the time of Ashur-nasir-pal,» Isis 21, 8-13, (1934), 2 pls.

S. Gandz, Isis 23, 245-250 (1935)

G. Sarton, Isis 26, 95-98 (1936).

Nell Perrot, Les représentations de l'arbre sacré sur les monuments de Mésopotamie et d'Elam (144 pp., 32 pls. Paris : Geuthner, 1937) (Isis 30, 365 (1939)).

(٨) معظم الألواح الطينية المحفوظة فى متاحف العالم ، تبش عليها الوطنيون هناك لبيعها التجار العاديات . ولا نعلم شيئاً عن الأماكن التى أخذ منها أكثر تلك الألواح . ولا يخفى أن هذا مما يقلل من قيمتها ما لم يمكن معرفة المصدر والتاريخ من النص ذاته .

(٩) توجد عدة ألواح تحمل شارة مكتبة سرجون الحد الأكبر لآشور بانيبال . أما مكتبة سرجون ذاتها فمفقودة . ويحمل كل لوح من ألواح المكتبة الملكية بطاقة ، تماماً كما نرى فى كتب مكتباتنا الحديثة . ونقرأ على إحدى تلك البطاقات : « قصر آشور بانيبال » ، ملك العالم وملك آشور » .

(١٠) هذه العبارة كما اقتبسها إدوارد شيرا (١٨٨٥ – ١٩٣٣) فى كتابه القيم ، انظر : Edward Chiera, They wrote on clay (Chicago : University of Chicago Press, 1938).

(١١) هذا ما عدا رجلا مثل سليوقس البابلى (النصف الأول من القرن الثانى ق. م .) .

(١٢) أو نبوخذ نصر . وهو ثانى ملك بهذا الاسم ، أما الأول فهو الذى حكم من ١١٤٦ حتى ١١٢٣ . . .

(١٣) يسمى سترابون هذين العالمين نابوريانوس وكسيديناس (الجغرافيا ١٦ ، ١ ، ٦) .

(١٤) لتتمة الموضوع نذكر أن البارثيين (الأسرة الأرساسية) حكموا بابل من ١٧١ ق . م . حتى ٢٢٦ م ، ثم حكمها بعد ذلك الساسانيون ٢٢٦ – ٦٤١ م ، ثم حل المسلمون محلهم .

(١٥) انظر كتاب المقدمة لتاريخ العلم ، مجلد ١ ، ٧١ .

(١٦) نحن نعرف فلكياً واحداً على الأقل يدعى سليوكس البابلى ، من عهد الأسرة السلوكية (النصف الأول من القرن الثانى ق . م .)، وهو مثل واضح للخلط التاريخى الذى يقع فيه المتبصرون من الباحثين . وهذا البابلى تابع لأرسترخوس الساموسى (النصف الأول من القرن الثالث ق . م .) وبذا يكون الرجل بعيداً عن التأثير فى العلم اليونانى ، بينما تأثر هو نفسه بفلكى هلينستى آخر .